

الإيرانيون في الخارج... بين الواقع والمأمول

علي ألفونه

مركز اميريكان انتربرايز

8 ديسمبر 2009

The Bearded Gentleman

By Ali Alfoneh

American Enterprise Institute

ترجمة: علي الحارس



علي ألفونه

باحث زائر (إيراني الجنسية) في مركز اميريكان انتربرايز.

عمل باحثاً في المعهد الاستراتيجي التابع للكلية العسكرية الملكية الدانماركية.

باحث في برنامج كوبنهاغن لبحوث الشرق الأوسط (2004-2006).

مدرس الاقتصاد السياسي في مركز الدراسات الشرق أوسطية في جامعة جنوب الدانمارك (2003-2004).

لنجوم الغناء معجبوهم. وكذلك للممثلين الكبار. ومشاهير الكتاب... وحتى المحللين السياسيين. أو هكذا كان ظني. فعندما كنت أعمل في كوبنهاغن في المدة (1988-2009) كان لدي معجب واحد على الأقل. وهو رجل ملتج حسن الهندام كان يحضر جميع محاضراتي العامة حول إيران دون أن يعيقه الزمان أو المكان أو الحالة الجوية عن الوصول وأخذ مكانه في الصف الأول مرتدياً الملابس نفسها. ومسجلاً كل كلمة أقولها في دفتره الصغير. وفي المرة الرابعة التي ألاحظه فيها. اقتربت منه وتبادلت العبارات الرسمية الفارسية المعتادة في هذا الموقف. ثم سألته عمن يكون فأجاب مباشرة: «أنا أعمل في القسم الثقافي لسفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية». وهكذا انهار قصر الشهرة الذي تخيلته: فإخلاصه المفترض لم يكن بسبب قوة طروحاتي أو بلاغة خطاباتي. وإنما تبين أن حضوره المتواصل كان بسبب تأديته ما يملئ عليه في وظيفته. ورغبة الجمهورية الإسلامية في أن تعلمني بأن السفارة تراقب الباحثين الإيرانيين في الخارج.

ولندرة فرصة لقائي بأحد العاملين في السفارة. لم أستطع مقاومة رغبة ملحة في أن أسأله سؤالاً جال في ذهني لسنوات: «هل لك يا سيدي أن تخبرني بعدد جواسيسكم في الدانمارك؟».

الإيرانيون في الخارج... بين الواقع والمأمول

ضحك الرجل الملتحي وأجاب: «يا سيدي العزيز، إننا لسنا بحاجة إلى جواسيس! فالإيرانيون يحضرون إلى السفارة بأعداد كبيرة ويبلغون عن بعضهم البعض إلى حد لم تعد لدينا معه القدرة الإدارية على تسجيل المعلومات الواردة».

كان الرجل الملتحي محقا في كلامه إلى حد ما، فالإيرانيون في الخارج يكرهون بعضهم البعض أكثر مما يكرهون نظامهم البعيد في طهران؛ وبسبب الخلافات السياسية القديمة، والصراعات الشخصية التافهة، والحسد، يقوم الإيرانيون بالوشاية ببعضهم البعض لا من أجل المنفعة الشخصية، وإنما للسعادة التي يشعرون بها من إلحاق الأذى بأشقائهم الذين يشاطرونهم المنفى. ولكن الرجل الملتحي ربما نسي أن يذكر التكتيكات الجديدة التي تتبعها سفارته للتحكم بالجاليات الإيرانية في الخارج؛ فعوضا عن الاستمرار في الاغتيال الصريح للمواطنين الإيرانيين في الخارج، والذي أدى إلى تعكير صفو العلاقات بين الجمهورية الإسلامية والدول المضيفة، طورت الجمهورية الإسلامية آليات أكثر كفاءة للتحكم بمواطنيها في المنفى.

في البدء تمكنت الجمهورية الإسلامية من تهدئة أعداد كبيرة من الإيرانيين في الخارج من خلال إعادة ما صودر منهم من عقارات وأراض وحسابات في المصارف الإيرانية. وفي الواقع، تمكنت الجمهورية الإسلامية عبر تشجيع الاستثمار من تعميق العلاقات الاقتصادية بين الإيرانيين في الخارج ووطنهم الأم، ومن هؤلاء من كان يعارض النظام لأسباب اقتصادية أو ثقافية؛ ولكننا لا نزال نسمع بين الفينة والأخرى عن حالات مصادرة جوازات سفر، واستجواب، واعتقال؛ وهذه الحالات، على قلتها، تنشر الرعب في أوصال الإيرانيين في الخارج وتخفف من اشتراكهم في النشاطات المعارضة الخارجية.

وربما نسي الرجل الملتحي أن يشير إلى نشاطات وزارة الاستخبارات والأمن في أوروبا. فنحن الإيرانيين قد نجد صعوبات شتى في جمع شمل فريق رياضي أو ملتقى شعري دون أن ينقسم الفريق أو الملتقى بين ملكي وماركسي وإسلامي وأصناف عديدة أخرى تتقاتل

الإيرانيون في الخارج... بين الواقع والمأمول

في ما بينها بكل ما أوتيت من قوة؛ لكن عملاء الاستخبارات المحرضين على الشغب يعملون كل ما في وسعهم لاختراق هذه الكيانات الثقافية والتسبب بانهيارها في النهاية. وفي جهد موازٍ تقوم تلك الوزارة باستخدام المراكز الثقافية في الدول الأجنبية كغطاء لمنح الإيرانيين في الخارج فرصة الانخراط في نشاط اجتماعي ضمن محيط تسيطر عليه أجهزة النظام. وبعد إعاقة إنشاء فرق كرة قدم وملتقيات شعرية مستقلة لم يبق إلا ما يسيطر عليه النظام من مساجد ومراكز لتعليم اللغة الفارسية أمام من يرغب بلعب كرة القدم أو المشاركة في ملتقى شعري.

إن عمليات التلاعب التي تقوم بها وزارة المخابرات والأمن تبلغ في بعض الأحيان حدا من النجاح بحيث لم يعد أمام الإيرانيين المهتمين بالشأن السياسي غير منظمة مجاهدين خلق المتطرفة. ففي تسعينيات القرن الماضي قامت الوزارة نفسها بتنظيم جماعات معارضة في الخارج للحيلولة دون انضمام الإيرانيين إلى الصراع المسلح الذي تخوضه هذه المنظمة ضد الجمهورية الإسلامية. وكان هدف تلك الجماعات توحيد الناشطين الإيرانيين. لكن النجاح لم يدم طويلا، وتفككت تلك الجماعات بنفس اليد التي قامت بتشكيلها. وذلك خشية من أن تتحول إلى بديل سياسي عن القيادة في طهران.

لقد تمكنت أزمة الانتخابات الأخيرة من توحيد الإيرانيين ضد النظام مهما تعارضت وجهات نظرهم السياسية. وبينما يبدي المعارضون في الداخل شجاعة غير مسبوقة في تحدي النظام، اكتسب الإيرانيون في الخارج الشجاعة أيضا. كما أدت المظاهرات الشجاعة في إيران إلى اندلاع مظاهرات في الخارج على الرغم من المحاولات المختلفة لسفارات الجمهورية الإسلامية بتخويف المتظاهرين في عدة دول مثل ألمانيا والسويد عبر تصويرهم علانية من داخل مقرات السفارات.

إن هؤلاء الطلاب الشجعان الذين استخدموا مظاهرات يوم الطالب للاعتراض على النظام قد أصبحوا مثالا يقتدي به كل إيراني وكل ناشطي تأييد الديمقراطية في العالم.

الإيرانيون في الخارج... بين الواقع والمأمول

إن ما حصل كان مشجعاً بالفعل لكن تحديات أقسى ما تزال على الطريق: وعلى الإيرانيين في الداخل والخارج أن يتعلموا كيفية إنشاء ثقافة حضارية بشكل سلمي خلال صمودهم أمام استفزازات النظام.